

## ٨- اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفة

لماذا أخفنا في تعليمها؟ - كيف نعلمها؟

لا أريد أن أضع منهاجاً مفضلاً للطريقة الجديدة لتعليم اللغة العربية، وإنما أريد أن أضع قواعد مجلّة تتبع عند وضع هذا المنهج، وهذه مبنية على ما تقدم بحثه.

يجب أن يحدّد درس القواعد من التعليم الابتدائي والأولى لأن القواعد كما قلنا لا تكسب ملكة اللقنة وإنما هي فلسفة للغة وضوابط؛ فمن الواجب أن ننسى في أن نكون للناشي ملكة اللقنة أولاً.

يجب أن نستبدل بالقواعد المطالعة الكثيرة والحفظ الكثير والمحاورة والمحاورة.

ويجب أن يختار للتلاميذ ما يحفظونه بحيث يكون مناسباً لأذهانهم لا يملوا عليها، وتؤلف لهم محاورات يحفظونها ويتحاورون بها وتكون مما تكثرت في الكلام ويحتاج إليها في الخطاب.

ويجب أن يعلم أن هذه المحفوظات تحفظ لتكون نموذجاً ذهنياً ليقبس عليه كلامه من حيث لا يدري فيجب أن يبنى بهذه النماذج فتحفظ صحيحة لا غلط فيها، ومعربة لا لحن فيها، فإنه إذا حفظها ملحونة ارتسم النموذج في ذهنه كذلك، فنسج على منواله، وأنفق مما اكتسب. ويجب على المدرس أن يراعى تلاميذه ويعلم موطن الضعف في لغتهم ويرودهم بما يزيل ضعفهم، ويقوم لسانهم، فإن رأى منهم أنهم يجرون الفاعل في أحاديثهم فليعلم أنهم بحاجة إلى أن يحفظوا كثيراً من المقطوعات فيها أمثلة كثيرة للفاعل، وليأخذهم بحفظها صحيحة غير ملحونة.

أما مرحلة التعليم الثانوي فيجب أن يظل التعليم بالحفظ والمطالعة فيها ويزاد عليه قواعد اللغة، ولكن ليست القواعد التي بين أيدي التلاميذ الآن، بل القواعد التي سأقدم مشروعيها، والتي تجمع الصدق والوضوح والسهولة.

ويجب ألا تقلل العناية بالحفظ والمطالعة في هذه المرحلة

بل يجب أن تزيد، ويجب كما قلنا أن تؤلف لهم روايات تمثيلية أخلاقية يحفظون أدوارها ويقومون بتمثيلها.

ويجب كما قلنا أيضاً أن يكلف للتلاميذ بنخل دواوين الأدب واختيار أحسن ما يقرؤون، ثم يحفظ أحسن ما يختارون، وأن تعطى درجات لمن قام بعمل ذاتي في أيام العطلة الصيفية في الحفظ والمطالعة.

أما مرحلة التعليم العالي فهي كرحلة التعليم الثانوي في الحفظ والمطالعة والقواعد، ولكن يجب أن يتعمق في درس هذه القواعد، وفي بحث أصولها وفي الموازنة بين مذاهب العلماء فيها فأما خلق جو عربي في المدرسة أو في دروس اللغة العربية خاصة لا يتكلم الطلاب والمدرسون فيه إلا باللغة العربية، وتكليف التلاميذ بكتابة موضوعات ينشئونها فقد سبقت الإشارة إليها فيجب أن تدخل في البرنامج الجديد لتعليم اللغة.

وينبغي أن يعلم أن تكليف التلاميذ بموضوعات ينشئونها ليس لغواً في طريقتنا كما هو لغو في الطريقة الأولى، لأن الطريقة الأولى كانت تكلفهم الإنشاء وليست عندم معاني يكتبونها لقلة ما يطالعون وما يحفظون، وليست عندم ملكة اللغة العربية - أما في الطريقة الحديثة فهي تكلفهم الإنشاء وعندم ثمان خلقها المطالعة والحفظ والاطلاع على آراء العلماء - وهي تكلفهم وقد رسخت في نفوسهم ملكة اللغة بالحفظ والمطالعة والحديث، وسيسر ذلك المعلمين ويجعل الدرس لذيذاً لأنهم إذ يصححون كراسات التلاميذ في الإنشاء لا يظلمون على لغو من القول يقضى العين وينشئ النفس كما كان في الماضي؛ بل يظلمون على أقوال لها حرمتها ومكائنها إذ هي بنت المطالعة الكثيرة والدروس الطويل.

ذلك أسلوب نراه كفيلاً بكل ما تريد من ريق لغوي ويأتي لأنه كفيلاً بتكوين الملكات في اللغة والبيان، وهذه الملكات تفهم اللغة وتذوق أولاً، وتفهم أصولها وقواعدها ثانياً، ونراه كفيلاً أيضاً بامتاع المتعلم وإنذاذه، وكفيلاً بفائدته وخيره.

فأما إمتاع التعليم بهذه الطريقة فإنها تعلم اللقنة بأداب السالفين، وحكم السابقين، وبالأشعار البليغة، والخطب النصيحة، وتواريخ الأمم، وفي كل ذلك غذاء للعقل، وإرضاء لقلب، وإمتاع للعاطفة؛ واللذة يسر ويأنس للخير الغريب،

كتاباً في القواعد كالأشعري أو المطول ، يخرج منه ولم يستفد خبرة بالحياة ، بخلاف من يقرأ كتاباً كالكمال لأبي العباس المبرد ، أو البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ؛ فإنه يخرج منه بحكمة الدهور وعظة الأيام ، ومهما فانه فلن تقوته حكمة أو تجربة ، هي عصارة هصور ، وخلاصة دهور .

وما أظن الأمم الإسلامية منيت بما منيت به ، بعد المزم والنعمة والقوة والصولة إلا من شغل علمائها وخاصتها طول عمرهم بكتب القواعد التي لا تكشف إلا عن طرف يسير جداً من هذا الكون الواسع ، أو بالحري لا تكشف عن شيء إلا عن مواضع واصطلاح وتفسير لهذه المواضع وهذا الاصطلاح ، ومن انصرفهم عن هذا الكون الفسيح وعلومه ، وعلل حوادثه وأسبابها ، وشؤون النفوس وخواطرها ، وتركيتها وتدسيته ما هذا الحظ العاثر ! قد جمع لنا المتقدمون أبواب الحكمة

وتجارب الحياة ، وكانوا أحرص الناس على حفظها حتى ينتفع بها من بعدهم ، وكان حربياً بنا أن نتترف من هذه الموارد العذبة ، ونستقي من هذا السلسيل الصافي ، فكان نصيب النافع منا الإعراض والنفور ، ونصيب غيره الإقبال عليه ، والكاف به أي شيء أنفع وأجدى من حكم أفادها أصحابها بعد التجارب المرة ، والمثار والخيبة ، والتردى والسقوط ، وبعد النيل تارة ، والإخفاق تارات ، وبعد أن ذاقوا حلو الحياة ومرها ، وصفوها وشوبها ، فأفادتهم التجارب علماً ، فجمعوا هذا العلم في جمل قصيرة ، وحروف قليلة ، لتكون أقل كلفة ، وأيسر مؤونة ، ليسهل حفظها وادخارها إلى وقت الحاجة لينتفع بها

وهنا شيء أرى من الواجب على أن أتنبه عليه ، وهو أن اسم الأدب أطلق كذباً وزوراً على تلك الأبيات من النسب والغزل المذكر والمؤنت ، وعلى وصف الخمر ومجالس الشراب ، وعلى أبيات البطالة والعجز ، وعلى أخبار الفساق والمجان ، فيجب أن يتحرز من هذه ولا تدخل في مطالعات التلاميذ ومحفوظاتهم لأن تأثيرها على الأخلاق شديد ، وإفسادها للمروءات عظيم ، فكم من مستقيم أخرجه عكوفه على هذا الأدب الزائف عن استقامته ، وكم من جاد منه المال وعظام الأمور صيره هذا الأدب الزائف مسفكاً ضئيل الأمل . ولا يصح أن ينكر هذا كله ؛ فإن تأثير القول في النفوس عظيم ، وتقضه للأسباب الثبينة قوي . ويجب إذ آمنا بتأثير الكلمة الصالحة

والنادرة الطريفة ، والحكمة النافعة ، والمثل السائر ، والجواب المسكت ، والقول السديد ، والرأى الحميد ، وهذا كله جمل في الطريقة الحديثة مادة لتعليم اللغة ، يطالع فيه ، ويحفظ منه ، والقول إن كان بليغاً ، والمعاني إذا كانت رائعة أنسب بها النفوس ، وهشت لها ، ووجدت فيها المتمة واللذة

وأما الفائدة فأى فائدة أعظم من التأدب بأدب العلماء ، والاطلاع على حكمة الحكماء ، والانتفاع بتجارب ذوى الصجارب ، وهذا كله جمل في طريق تعليم اللغة ، والكلمة الطيبة إذا نزلت بالنفس وعلقت بها واستوتقت منها ، وأيقنت بها ، فإنها تكون هادية ومرشدة ، ينتفع بها المرء في غدوه ورواحه ، وصبحه ومساءه ، كما قال الله تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها »

والمرء ما عاش بحاجة إلى الأدب الذي به تتمر القلوب ، وتزكو النفوس . قال عبد الله بن المقفع : ( ولستنا إلى ما يمسك أرماقنا من الماء كل والمشرى بأحوج منا إلى ما يثبت عقولنا من الأدب الذي به تفاوت العقول . وليس غذاء الطعام بأسرع في نبات الجسد من غذاء الأدب في نبات العقل . ولستنا بالكدر في طلب المتاع الذي يلتمس به دفع الضرر والغلبة بأحق منا بالكدر في طلب العلم الذي يلتمس به صلاح الدين والدنيا ، ) وإن المرء قد يفيد الحرف من الأدب ويكون أرد عليه من جيش عمرهم . قال معاوية : لقد رأيتني وأنا أهم بالفرار يوم صفين وما يمتنى إلا قول الشاعر

وقول كلما جشأت وجاشت ، مكانك نحمدى أو تستريحي فأين من هذا كله القواعد وليس فيها متعة ولا لذة ، فليست عاطفية حتى تثير الماطفة والوجدان ، وليست عقلية حتى تكون فيها لذة المعقولات لن اعتماد المعقولات ، إنما اللغة مواضعة واصطلاح ، وقواعد اللغة شرح وتفسير لهذا الاصطلاح ، وليس فيها إلا بعض علل عقلية ، وهذا مغمور وسط علل مدخولة ، وأسباب غير معقولة .

وكما أنها لا تثير لذة ، ولا تيمت متعة ، كذلك لا تحصل منها على فائدة . وما الفائدة منها وهي ليحت حكمة ولا مثلاً ولا شرحاً لقانون من قوانين الحياة ، وهي تيمد عن الحياة وتجاربها وعن محيطها الواسع ، وبحرها الجياش المضطرب ، وأن الذي يقرأ